

أسباب سقوط الحضارات من منظور القرآن الكريم
Reasons for the fall of civilizations from the concept of the holy Qur'an

Allaa Eddin Ismaail

علاء الدين إسماعيل

Department of Aqeedah and Dawa, College of Sharia and Islamic Studies, Qatar University
a.ismaail@qu.edu.qa

ملخص

إن هذا الكون خلقه الله بنظام دقيق يحكمه، وسنن تجري على كل البشر، وجعل لكل نجاح سبباً ولكل فشل أيضاً سبباً، فمن اتبع سنن النجاح أفلح، ومن قصر بها خاب وندم، فسُنن الله في الكون كثيرة كسنن النصر والهزيمة، وسنن العقاب بعد الكفر، وسنن الجزاء الذي يكون من جنس العمل، ومن هذه السنن الاستخلاف في الأرض، ويسلط الباحث الضوء على أسباب سقوط الحضارات واختيارها من خلال القرآن الكريم، بحيث يستعرض الباحث باقتضاب بعض آراء العلماء بهذا الشأن ثم يستعرض الباحث أسباب سقوط الحضارات بمنظور القرآن الكريم ويقسم الباحث أسباب سقوط الحضارات إلى أسباب جزئية وأسباب شاملة ويستعرض أقوال علماء المسلمين والغرب في عوامل سقوط الحضارات.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الحضارات، الأمم، التمكين، الاختيار

Received: 10 Oct 2024
Revised: 30 Oct 2024
Accepted: 20 Nov 2024

*Corresponding Author:
Allaa Eddin Ismaail
Department of Aqeedah
and Dawa, College of
Sharia and Islamic
Studies, Qatar University
a.ismaail@qu.edu.qa

Abstract

his universe God created an accurate governed and Sunan place on the all humans and make every success of the cause and each also failed it follow the ways of success succeeded And make each failure cause. And norm of God in the universe many norm of victory and defeat and norm of punishment after infidelity and the ways of the penalty, which will be of same work and this norms succession in the land and sheds researcher light on the reasons for the fall of civilizations and collapse through the Koran, so review the researcher briefly some of the views of scientists in this regard then mentions the researcher reasons for the fall of civilizations through the Koran and divides the researcher reasons for the fall of civilizations to the reasons for partial and the reasons for comprehensive reviews the statements of Muslim Scholars and the West in the fall of civilizations factors.

Keywords: The Holy Quran, Civilizations, Nations, Empowerment, Collapse

مقدمة

إن لكل حضارة دورة لابد لها أن تنتهزها، فلم تخلو حضارة من طور القوة والضعف والاندثار، وقد أورد لنا القرآن الكريم أسباب سقوط الحضارات، فمعرفة ذلك يعيننا على تأخير انهيار الحضارات واندثارها. وإن مشكلة البحث تتحدد من خلال الاعتبارات التالية:

- 1- يعتقد بعض المعاصرين أن سبب تخلف المسلمين هو الانكفاء على تعاليم القرآن الكريم، وليس له أسباب أخرى.
- 2- إن أولى طرق النهضة هو البحث عن سبب انكماش الدور الحضاري للمسلمين.
- 3- كما رأى بعضهم أن القرآن الكريم لم يعن بمسألة أسباب قيام الحضارات وتخلفها.

أهداف الدراسة

1. تحرير أسباب سقوط الحضارات من خلال التأصيل القرآني. بحيث نستطيع أن نقف على معالم نظرية حضارية ذات أبعاد عقلية وعملية متكاملة لتجاوز مظاهر التخلف وأسبابه.
2. توضيح أسس ومعالم التخلف والانهيار للحضارات من منظور قرآني.
3. تحليل الواقع الحالي للوصول إلى النهضة المنشودة.

أسئلة البحث

- ما هي معالم سقوط الحضارات في القرآن الكريم؟
- وماهي نظريات سقوط الحضارات من منظور المفكرين؟
- ما أسباب هدم الحضارة الشاملة في القرآن الكريم؟

المنهج

وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي.

الدراسات السابقة

وجد الباحث عدداً من الدراسات التي تتحدث عن سقوط الحضارات بشكل عام منها دراسة الدكتور صالح الرقب بعنوان (عوامل انهيار الحضارات والأمم) حيث ذكر عوامل انهيار الحضارات بشكل عام. ودراسة الباحث عبد الرزاق ميزة نازي، التقدّم الحضاري وتراجعها في ضوء القرآن الكريم، مجلة رواء، العدد الخامس عشر. حيث ركز البحث على عوامل التقدم وبحث عوامل التراجع بشكل مقتضب.

تعريف الحضارة

يعد مصطلح الحضارة من المصطلحات الحديثة نسبياً فلم يستخدم على نطاق واسع في الصدر الأول، وقد جاء في لسان العرب تحت مادة (الحضر): "أما الإقامة في الحضر أي في المدن والقرى، وهي بخلاف البداوة التي تعني الإقامة المتنقلة في البوادي، فالحضر إذن خلاف البدو"¹.

وعرفها ابن خلدون بقوله: "هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه"². وعرفها شوقي أبو خليل بقوله: "الحضارة هي محاولات الإنسان الاستكشاف والاختراع والتفكير والتنظيم والعمل على استغلال الطبيعة للوصول إلى مستوى حياة أفضل وهي حصيلة جهود الأمم كلها"³. أما الحضارة كمفهوم معاصر فإنها تعبر عن الرقي العلمي والأخلاقي والأدبي والفني والتكنولوجي والتطور في كل مناحي الحياة.

المبحث الأول: ميزات السنن الإلهية في الاستخلاف

تتماز السنن الإلهية بالاستخلاف بعدد من الميزات منها:

أولاً: إنها حيادية لا تحابي أحداً بغض النظر عن معتقداته ولونه وعرقه، فهي دائماً في صالح من يأخذ بها فلا يمكن لأمة لم تستكمل أسباب التمكين أن تستخلف في الأرض ولو ادعت الإيمان والالتزام بالشرع والله تعالى يستخلف في الأرض أي أمة عملت بأسباب الحضارة دون النظر إلى أي اعتبارات أخرى فقد تسود حضارة من الحضارات ليس لها سابق تمكين ولا تؤمن بدين سوى أنها أخذت بأسباب النصر فحازت عليه.

ثانياً: إنها العامل الأساسي في البناء الحضاري، وهذا يقتضي اكتشافها وتسخيرها في عملية البناء.

ثالثاً: إنها مبنية على منظومة عقدية يجب مراعاتها ونحن نتعامل مع السنن، و الفكر الغربي في أغلب الأحيان لا يؤمن بوجود السنن من حيث إنها حقائق كائنة وثابتة في الحياة، وهو بذلك (أي الفكر الغربي) يبحث في أثر الأشياء وعللها لا في ذواتها وكنهها.

رابعاً: قوانين ربانية وليست حتميات ولا جبريات، أي أنها تتحقق بإرادة الله عز وجل فقد تستكمل بعض الحضارات أسس التمكين ولكن تكون إرادة الله غالبية ويقضى عليها في مهدها أو أنها تكون في أوج قوتها فتصبح بين ليلة وضحاها بأمر الله عز

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، د. ت، ج4 ص196.

² ابن خلدون، مقدمة تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، ج1 ص172.

³ شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر دمشق، ط2، 1417-1996، ص20.

وجل من الماضي ويقضى عليها من خلال حضارة أخرى أشد منها ومن هذا الصنف كثير من الحضارات التي قضى عليها وهي في أوج مجدها⁴.

المبحث الثاني: آراء الباحثين في قيام الحضارات وسقوطها

درس كثير من العلماء المسلمين أسباب وأسس قيام الحضارات وسقوطها وكتبوا نظريات تؤيد ما وصلوا إليه ونجد ذلك عند ذلك ابن مسكويه الفيلسوف (421هـ)، وابن حيان القرطبي الأندلسي (469هـ)، وقدامة بن جعفر (ت337هـ) وبعضهم بحث في سقوط بعض الحضارات الإسلامية فقد كتب البعض عن أسباب سقوط قرطبة، توجت تلك الدراسات بما كتبه عبد الرحمن بن خلدون الذي كان بحق رائد علم الاجتماع في وقته وأحد أهم من كتب في أسباب قيام الحضارات وسقوطها على مر العصور وحظيت نظرياته في مقدمته باهتمام علماء المسلمين والغرب على حد سواء ويمكن أن نقول إن ابن خلدون وهو أول عالم مسلم حاول البحث بدقة في العمران البشري من منطلق سنني⁵ فالحضارة في رأيه تأخذ دائماً شكلاً دائرياً، يدور على ثلاث مراحل المرحلة الأولى: مرحلة البدو حيث السلطة فيها للعادة والحاجة. ثم المرحلة الثانية: مرحلة الدولة حيث السيادة فيها للقوانين والنظام ثم تأتي المرحلة الثالثة: مرحلة الحضرة التي تكون السيادة فيها للشهوات والإسراف في الترف. ثم تنتقل الحضارة إلى أمة أخرى لتبدأ دورتها من جديد. وقد قدم ابن خلدون تصوراً متكاملاً لمراحل تطور الدول من قيامها حتى موتها. هذا التصور يقوم على أن الدول تمر بخمسة أطوار وهي:

الطور الأول: طور القيام والنشأة.

والطور الثاني: هو ما يسميه طور الاستبداد والاستئثار بالسلطة والسلطان.

والطور الثالث: طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك.

والطور الرابع: طور الخنوع والمسألة والتقليد للسابقين

الطور الخامس: هو الإسراف والتبذير واصطناع قرناء السوء وإبعاد الصالحين الناصحين⁶.

كما يعد مالك بن نبي من أهم المفكرين المسلمين المعاصرين في هذا المجال فقد كتب في النهضة وشروطها ومشكلات الحضارة وألف سلسلة كتب تحت عنوان مشكلات الحضارة فكتب (شروط النهضة) و(مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي) وفي محاولة منه للتأصيل للنهضة إسلامية جديدة ويؤكد مالك أن الحضارة تمر بثلاث مراحل: مرحلة الروح: وهي المرحلة التي تبرز فيها الفكرة الدينية التي تبعث الروح في الإنسان والتراب والزمن.

مرحلة العقل: وهي المرحلة التي تتفجر فيها طاقات الأمة الفكرية والعلمية والحضارية وهي مرحلة الازدهار وتبدأ فيها المظاهر السلبية كالانحرافات العقدية، والعقد النفسية، والمظالم الاجتماعية في حين أن العلاقات الاجتماعية لا تزال قوية ولكن قد ظهر

⁴ انظر: محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1417-1996 ص26.

⁵ يعتقد البعض أن ابن خلدون سرق نظرياته من إخوان الصفا انظر: محمود إسماعيل، نهاية أسطورة نظريات ابن خلدون

⁶ ابن خلدون، المقدمة، ص137.

عليها بعض الشوائب والنقص. فالمجتمع يواصل نموه ولكن ليست كل قواه في نطاق الحركة، فلم يعد الفرد وهو يباشر وظيفته الاجتماعية يعمل بكامل طاقته لأن جانباً من الطاقة مضى إلى السكون.

مرحلة الغريزة: وهي المرحلة التي تطلق فيها الشهوات والنزوات من عقالها، فيطغى عالم الأشياء في المجتمع، ويضمحل عالم الأفكار وهي مرحلة السقوط والانهيار الحضاري فإن الغرائز تتفكك وتسود الفردية تبعاً لتحرر غرائز الأفراد مما يؤدي إلى انهيار العلاقات الاجتماعية فيختل نظام الطاقة الحيوي وهو ما يسمى بعصر الانحطاط وهو العصر الذي هباً في العالم الإسلامي الظروف الملائمة للقبالية للاستعمار⁷.

كما أخذ مالك بن نبي عن المؤرخ الألماني (شبنجلر) تقسيمه دورة الحضارة إلى مراحل ثلاث: روحية، عقلية، غرائزية. وقريب منه تقسم المؤرخ الإيطالي (فيكو) لدورة التاريخ لكل أمة: المرحلة الدينية، مرحلة البطولة، مرحلة التمدن والنضج ثم الانحدار، وقد درس عدد من المفكرين الغربيين الحضارات في محاولة لوضع قواعد لقيام الحضارات وسقوطها بشكل علمي فحاول كارل ماركس (1883م) صاحب نظرية الصراع الطبقي والثائر على البرجوازية والرأسمالية والقومية والوطنية، تفسير نشوء الحضارات والمجتمعات من خلال عامل المصالح وصراع الطبقات دون النظر إلى العامل الأخلاقي والديني.

أما شبنجلر (1936م) صاحب التفسير العضوي للتاريخ، فيؤكد أنه من التناقض دراسة التاريخ بمنهج العلوم الطبيعية الذي هو العلم، بل لا بد أن يدرس بناءً على منهج "التوسم" أي التأمل والاعتبار⁸ ويقول شبنجلر: "كل ما يحمل علامة الاتجاه والمصير فإنما ينعت بالسيمائية"⁹.

ويرى آرنولد توينبي في كتابه (دراسة للتاريخ)¹⁰ أن سبب نشوء الحضارات هو ما يسمى بنظرية (التحدي والاستجابة)¹¹ أن النهضة التي قامت في جزيرة باردة ونائية مثل إنجلترا كان سببها ما يسمى بنظرية (التحدي والاستجابة) وافتقار الإنجليز للترف الأخاذ هو ما حفزهم على النهضة¹². وهو بالتالي يتفق مع مالك بن نبي (1973م) فيكون الاستعمار أحد العوامل الخارجية التي تدفع الشعوب إلى النهوض وأهم السمات الأساسية التي تطبع نظرية التحدي والاستجابة عند توينبي هي ما يسمى بالوسط الذهني، وهي وضعية يتم فيها التوازن بين درجة التحدي ودرجة الاستجابة. فأى خلل في إحدهما يؤدي إلى السقوط الحضاري. أما العامل الآخر المنذر ببداية السقوط الحضاري فهو تحول القيادة أو الأقلية إلى أقلية مسيطرة فتظهر الاستجابة من طبقة "البروليتاريا" لمقاومة تحدي الأقلية، فيتم السقوط على شكل غزو الأولى للثانية أو على شكل تآكل القوى الداخلية

⁷ انظر: زكي ميلاد، مالك بن نبي و مشكلات الحضارة، دار الفكر، دمشق، ط1، 1998. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 54.

⁸ جمال بروال، الدورة الحضارية بين فكر مالك بن نبي وأزوالد اشبنغلر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة ص12.

⁹ أسوالد اشبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (دط)، (دت) ج1 ص206.

¹⁰ وترجم مختصره (مختصر دراسة التاريخ) لسومفيل إلى اللغة العربية.

¹¹ آرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد شبل، لجنة التأليف القاهرة، 2011.

¹² زياد عبد الكريم النجم، توينبي نظرية التحدي والاستجابة (الحضارة الإسلامية أنموذجاً) زياد عبد الكريم النجم، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الأولى 2010.

وحاول هيجل (1831م) تفسير قيام الحضارة بمنظور مختلف عن غيره من الفلاسفة الغربيين فهو يعتبر عامل الروح من أهم العوامل المؤثرة في صيرورة التاريخ، وأيضاً تأكيد هيجل أن التاريخ يسير وفقاً لخطة محددة، ومهمة الفيلسوف هي معرفة هذه الخطة، كما أن أوجست كونت بحث في هذا الجانب وتوج أبحاثه بنظرية (الوضعية التاريخية) التي تبحث في القوانين والسنن التي يسير وفقها التاريخ.

وكتب إدوارد جيبون، في كتابه (اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها). و حدد بدوره خمسة أسباب تفسر - في رأيه - انهيار وموت الأمم هذه الأسباب هي:

- 1- انهيار مكانة و قدسية البيت والأسرة باعتبار أنها هي أساس المجتمع الإنساني.
- 2- فرض الضرائب المرتفعة،
- 3- وإنفاق المال العام على الكماليات والأمور المظهرية ما يسمى بتحول المتعة إلى أشكال من الجنون. مثال ذلك أن تصبح الرياضة عاملاً بعد عام أكثر عنفاً ووحشية.
- 4- انهيار المسؤولية الفردية أي إحساس الفرد بمسؤوليته تجاه المجتمع.
- 5- انهيار مكانة الدين في المجتمع، وكقوة مرشدة وموجهة وهادية لأبناء المجتمع تفكيراً وقيماً وسلوكاً¹³.

المبحث الثالث: أسباب سقوط الحضارات من منظور القرآن الكريم

ويرى القرآن أن المجتمعات تموت كما يموت الأفراد {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: 34].

وقال تعالى: {مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ} [الحجر: 5].

وقال تعالى: {وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون: 11].

والمتتبع للتاريخ البشري يرى أن جميع الأمم تموت كما يموت البشر لأجلهم، ولكن هناك أمم تعمر وهناك أمم تنتهي بأجل قريب، حسب توفر الظروف الموضوعية للبقاء أو الفناء، ولم يحفظ لنا التاريخ أن أمة من الأمم بقيت منذ القديم إلى وقتنا الحالي.

فالإمبراطورية الفارسية واليونانية والرومانية والصينية عمرت رداً من الزمن وانتهت بأجلها المحتوم، و الأمم المسيطرة الآن كالحضارة الأمريكية ليس لها من العمر أكثر من مائة سنة، وقد حض القرآن الكريم في مواضع متعددة المؤمنين أن ينظروا إلى الأمم السابقة وما آلت إليه أحوالهم قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [يوسف: 109].

{ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} [الروم: 10].

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ} [الروم: 42].

¹³ ينظر: إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية،

{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر: 44].

كما أن هناك أسباب موضوعية لقيام حضارة ما أيضاً هناك عوامل لسقوط الحضارات واندثارها وتتنوع الأسباب بحسب الزمان والمكان، فأسباب سقوط بعض الدول الإسلامية لا تشكل بالضرورة نفس أسباب انهيار بعض الحضارات الأوروبية أو الآسيوية فهناك أسباب عامة وأسباب خاصة لقيام وسقوط الحضارات ولا بد من التفريق بين أنواع الحضارة فهناك نوعين للحضارة — كما يرى الكاتب — هما:

الحضارة الجزئية: وهي التي ترنو إلى سعادة ورقي الإنسان في الدنيا دون النظر إلى ما يؤول حال الإنسان في الآخرة وهي التي توصل الإنسان إلى سعادة الدنيا.

الحضارة الشاملة: هي الحضارة التي تسعى لخير وسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وترقى بالإنسان إلى أن يصل إلى سعادة أبدية وطمأنينة في دنياه وآخرته.

المبحث الرابع: أسباب سقوط الحضارة الجزئية

تتلخص أسباب سقوط الحضارة الجزئية بعدد من الأسباب وهي:

أولاً: الظلم

إن الظلم من أهم الأسباب المؤذنة بالخراب والدمار فلا يمكن لحضارة تقوم على الظلم أن تعمر طويلاً وبالعكس ذلك فإن الدول التي تقوم في أساسها على العدل تستخلف في الأرض وقد عرف ابن خلدون الظلم بقوله: " وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه"¹⁴

قال ابن تيمية: "فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة ولهذا يروى إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"¹⁵

وقال في رسالة الحسبة: "فأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق؛ وإن لم تشارك في إثم ويقال: الدنيا تدوم مع الكفر والعدل ولا تدوم مع الظلم والإسلام"¹⁶.

يعتبر الظلم من أكبر عوامل سقوط الحضارات، وله مفهوم شامل عريض يؤدي إلى فقدان التوازن في كافة مجالات الحياة وعلاقات الإنسان مع نفسه ومع الله ومع غيره. وعن هذا تنبثق ظواهر نفسية واجتماعية واقتصادية مريضة وتصورات فاسدة عن الوجود كله، فيعم الفساد الحياة الإنسانية بأسرها ولا يمكن لحضارة عم فيها الظلم أن تبقى ولذلك قيل: (الملك

¹⁴ (ابن خلدون، المقدمة، ص288)

¹⁵ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج28 ص63.

¹⁶ (نفس المصدر: ج28 ص146)

يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم)¹⁷

قال تعالى: { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْفَرَىٰ بَظْلَمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } [هود:117].

وقال أيضاً: { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } [هود 102].

فالظلم عاقبته وخيمة، ولا يوجد أضر على الحضارات من شيوع الظلم وتفشي الفساد.

يقول الماوردي: (وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور لأنه لا يقف عند حد ولا ينتهي إلى غاية ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل)¹⁸

والعدل بين الرعية هو السبب الرئيس في بقاء الحضارة الأوروبية قائمة إلى وقتنا هذا رغم الانحلال الخلقي والتفسخ الأسري والكفر البواح المستشري بينهم، لكن عدلهم - إلى حد ما - بين بعضهم أدى لاستمرار تمكينهم واستخلافهم في الأرض، وظلم الحكام في أغلب البلاد الإسلامية للرعية وعدم أخذ الضعيف حقه من القوي هو ما أدى بأغلب الدول الإسلامية إلى هذا الحال الذي لا يسر أحداً من الجهل والتبعية والتخلف والبعد عن الحضارة وعن أسس الإسلام الصحيح ولن يصلح حال أية أمة جعلت الظلم شعارها والجهل دثارها.

الترف والتكاثر

وقف ابن خلدون طويلاً في مقدمته عند مسألة الترف، واعتبر أن شيوع الترف مسألة حتمية ترتبط بعملية التحضر بانتقال الجماعات البشرية من البداوة والتنقل في الصحراء إلى الغنى والحضارة والاستقرار، وعالج المسألة من جانبيها الأخلاقي والاقتصادي فبين في الأولى ما يؤول إليه الترف من تفكك في الأخلاق وركود في المهمة ينعكس بالضرورة على مسيرة الحضارة ويأذن بتوقف تدفقها الإبداعي وبالتالي انحلالها ودمارها. وبين في الثانية ما يعنيه طغيان الترف في مجتمع ما من اختلال في التوازن بين الإنتاج والاستهلاك، ومن تضخيم للنزعة الاستهلاكية على حساب التنمية والعطاء الأمر الذي ينعكس هو الآخر سلباً على التطور الحضاري العام.

إنّ الترف ممارسة مدمرة، سواء للجماعة كلها التي تسكت عنها وتغض الطرف أو تغلو في انهزاميتها فتتملق وتتقرب وتداهن للمترفين أنفسهم، الذين يعمي الثراء الفاحش وما ينبثق عنه من ممارسة مرضية بصائرهم ويطمس على أرواحهم، ويسحق كل إحساس أخلاقي أصيل في نفوسهم، ويحجب عنهم كل رؤية حقيقية لدور الإنسان في الدنيا وموقعه في الكون، وطبيعة العلاقات المتبادلة بين عالمي الغيب والشهادة والمادة والروح، والقرآن الكريم يؤكد ذلك حيث يقول تعالى: { وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ قَبْلِكَ مَعِيشَتَهَا فَبَلَّكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ } (58) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْفَرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } [القصص 58-59] وقوله تعالى: { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا } [الإسراء:16]. وقد ظهر الترف بعد توسع الدولة الإسلامية، ويمكن ملاحظته في عصر الدولة الأموية والعباسية، حيث وصل البذخ والترف

¹⁷ (الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج18 ص76)

¹⁸ أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص153.

إلى ما يشبه الأساطير في حفلات الزواج والمناسبات العامة، وإنفاق المال بغير حساب على الشعراء والمرتزة والمتملقين. وهذا انعكس سلباً على الأخلاق والسلوك، حيث شاعت الفاحشة وانتشرت الجواري والغناء والخمر. وهذا هو الإخلال إلى حب الدنيا، وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الآثار السيئة لذلك بقوله: ((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَّاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَّاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))¹⁹.

وربما يأخذ الغرور أتباع الحضارة التي تظن أن الله يمد لهم ويعطيهم من كل شيء فيعتقدوا أنهم في معزل عن الانحدار، وفي منأى عن الهرم والانكسار، فيزدادون ترفاً ويزخاً وعلواً في الأرض وعند ذلك يأذن الله بزوال ملكهم وانحيار حضارتهم. قال تعالى: { إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ يَمَا يُأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطَرَ أَهْلِهَا أَهْمٌ فَادْرُوْنَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [يونس : 24].

ويقول عن ذلك ابن خلدون: (فرما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع عنها ويومض ذبها لإمضاة الخمود كما يقع في الدبال المشتعل فإنه عند مقاربة انطفائه يومض لإمضاة توهم أنها اشتعال وهي انطفاء فاعتبر ذلك ولا تغفل سر الله عز وجل وحكمته)²⁰

وقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة كثيرة عن أمم وأقوام كانوا برغد من العيش وفسحة من الدنيا ثم انغمست في الشهوات والملاذات فأذهب الله عنهم تلك النعم قال تعالى: { وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ } [القصص: 28] فالترف أحد أكبر أسباب الدمار وبخاصة إذا عم ذلك بين الناس (ومن هنا كان الترف في نظر القرآن من أظهر أسباب الانحلال الاجتماعي والتدمير المعنوي للأمة ولا سيما إذا كثر المترفون أو أصبحوا أصحاب السلطة)²¹.

ثالثاً: الاختلاف والفرقة والتنازع

نهي الله سبحانه وتعالى عن التفرق والتنازع والتقاتل حيث قال: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا" (آل عمران: 103) وقال: { وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } [الروم: 31-32]. و قال: { وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } [الأنفال: 46]. ولم يتمسك الناس تماماً بهذا التوجيه الإلهي حيث حدث التناوش والاختلاف وبدأ اختلافاً في وجهات النظر إلا أن وجهات النظر هذه سرعان ما تم تطايرها في مذاهب على مستوى العقيدة والشرعية.

¹⁹ (أبو داود: رقم الحديث: (4297)

²⁰ (ابن خلدون، المقدمة، ص294)

²¹ (يوسف القرضاوي، دور القيم، ص241).

ويقول الشهرستاني: "وكان التضاد بين كل فرقة وفرقة حاصلاً في كل زمان، ولكل فرقة مقالة حيالها، وكتب صنفوها، ودولة عاونتهم، وصولة طاوعتهم"²² وجملة القول: إن الإصاغة قد لحت بجميع النظم والأبنية الإسلامية الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهي انعكاس للحال التي وصل إليها إنسان الحضارة الإسلامية، أفراداً ومجتمعات ودولاً.

رابعاً: التعصب القومي القبلي والعرفي وتقديمه على مفهوم الأمة

لم يحذر النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الجاهلية كما حذر من التعصب القبلي والعرفي وعد ذلك من دعوى الجاهلية المنتنة الحالقة التي تخلق الدين

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات:13]. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد في كل موقف على أن الفضل والسبق ليس بالنسب ولا بالحسب إنما هو بالدين والتقوى فلا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

وقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم لك حيث أمر بلال الحبشي بمهمة الأذان كما أمر زيد بن حارثة بقيادة جيش مؤتة وفي الجيش أشرف الناس، كما أمر أسامة بن زيد بقيادة جيش أعده لحرب الروم وفي الجيش اكابر الصحابة لعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن العصبية القبلية إذا تسربت إلى أمة فإنها تقضي عليها.

المبحث الخامس: أسباب هدم الحضارة الشاملة

إضافة لما ذكر سابقاً من أسباب هدم الحضارات فقد تأتي أسباب أخرى لهدم الحضارة وتؤذن بعدم استمرارها فالأسباب الآتية تعجل بزوال دول إسلامية لم تلتزم بأسس التمكين فلا يمكن لدولة مسلمة أن تبقى بقوتها ونفوذها إذا فعلت أياً من الأمور التي ستذكر وإن بقيت في حيز الوجود فهو وجود على هامش التاريخ لا يقدم ولا يؤخر أما الدول غير المسلمة فإن بإمكانها أن تبقى قوية منيعة ولو تلبست بالكفر أو غاب عنها مفهوم التوحيد لكنها لا تحقق لأتباعها السعادة في الدارين.

أولاً: الكفر

إن الكفر أو الشرك يعني انفصال الحضارة عن الدين وتحررها من سلطانه وهذا يفضي بها ولا بد إلى انحلال الأخلاق وانحطاطها، عاجلاً أو آجلاً وهذا ما يبدو جلياً في حالة الشقاء التي يتعرض لها المجتمع الكافر أو المشرك والحضارة التي نعيشها هنا كما ذكرنا من قبل هي بالمعنى الشامل وهي ما يوصل صاحبه إلى السعادة في الدنيا والآخرة وقد قرن القرآن الكريم الشقاء بالكفر وعصيان الله عز وجل فلا سعادة مع الشرك ولا راحة مع الكفر

قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة:38-39].

قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه: 124].
قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: 97].

قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (112) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [النحل: 112]
فإن تجربة الحضارة المعاصرة وصيحات مفكري تلك الحضارة ترينا الآثار التي ترتبت على الكفر بالله أو الإشراف به - وهي آثار هدامة ومن ثم لا يمكن القول: إنَّ الجنوح المادي الذي طالما تميزت به قوى الكفر منذ فجر التاريخ وحتى وقتنا الراهن كضرورة من ضرورات التصاقها بالأرض ورفضها أي إيمان بالغيب أو المثل العليا، إنما يمثل تعبيراً عن السعادة بمفهومها الشامل، على العكس فإنَّ هذا الجنوح يمثل نقصاً كبيراً وانحرافاً خطيراً في تجربة بملأ خلاياها وشرائينها بالتعاسة والشقاء ومن هنا نرى حالات الانتحار متفشية بين المجتمعات الغربية وتسجل أعلى مستويات لها في الدول الأعلى دخلاً في العالم كالسويد وبلجيكا مع أن أسباب السعادة متوفرة لهؤلاء الناس وعلى العكس نلمس لدى كثير من المجتمعات المسلمة التي يعيش ابنائها تحت خط الفقر يتمسكون بالحياة ويحاولون التأقلم معها ومهما يكن من أمر فإنَّ الحضارة -أية حضارة- محكومة بالسنن الإلهية، وهذه السنن في المجال الحضاري على نوعين؛ سنن جزئية تتعلق بعالم الشهادة وهي سنن تعطي كل من يوظفها على قدر سعيه ولا تفرق بين مؤمن وكافر، وسنن كلية حاکمة على هذه السنن الجزئية، وهي سنن الإيمان بالله وتوحيده، وهي التي تحدّد مصير الحضارات، نمواً أو سقوطاً، وتعتبر جميع عوامل سقوط الحضارات تبعاً لهذا العامل أي غياب الإيمان بالله وتوحيده.²³

ثانياً: التحلل الخلقي والسلوكي

من أسباب سقوط الحضارات ظهور المعاصي وانتشار الفواحش في المجتمعات مع سكوت الناس عن تغييرها، ذلك أنَّ المعصية إذا صدرت من فرد وأتى بها خفية كان ضررها قاصراً عليه لا يتعداه إلى غيره، أما إذا أصبح المجرمون المنحرفون يعلنون إجرامهم ويتظاهرون بفسوقهم ولم يوجد من يأخذ على أيديهم ويردهم عن عصيانهم دبَّ حينئذٍ ضرر الفاحشة إلى العامة والخاصة ولم يبق وبالها مقتصر على مرتكبها قد ذكر القرآن الكريم كثيراً من الأمم التي أهلكها الله بفعلها للفاحشة واستحلالها للموبقات التي تخالف الفطرة السليمة فقص الله القرآن الكريم علينا قصة قوم صالح وقوم لوط والمؤتفكات (هي خمسة قرى عصى أهلها الله عز وجل فأخذهم الله بذنوبهم وهي: (صبعة وصعرة وعمرة ودوما وسدوم)²⁴

فإذا أعلن العصاة الفاحشة وفاخروا بها وبارزوا الله عز وجل بعلايتها عجلهم الله تعالى بالعقوبة وبدل أمنهم خوفاً، فهاهم قوم لوط عندما فعلوا ما خالف الفطرة وتسابقوا إلى غضب الله قال تعالى: { أَتُنْكُمُ اللَّتَاتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ

²³ انظر: مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، عماد بدوي، ط2005، ص111-115.

²⁴ انظر: الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج12 ص98.

وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ { [العنكبوت: 29]
وجاءت العقوبة لهؤلاء القوم والأمر بالهلاك من الله عز وجل فدمرهم وأفناهم من الأرض جزاء عصيانهم والخلالهم.
قال تعالى: { إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [العنكبوت: 34].

فأنقلبت الأرض بهم وجعل الله عاليها سافلها لما قلب هؤلاء الناس مفهوم الفطرة وعبثوا به "فكان الجزء من جنس العمل"²⁵
وناقشت السنّة النبوية هذه الفواحش وآثارها في أحاديث الفتن والملاحم، وإذا أرادت أي أمة أن تخرق حضارة تبدأ بأخلاق
أهلها وقيمهم فإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً ولا يمكن تدمير حضارة ترعى الأخلاق وتحترم القيم
وتقدمهما على الفكر المادي أما إذا لم يكن للأخلاق والقيم الروحية مكان في الحضارة فمن السهل أن تدمر وتباد وتضمحل
فمن ليس لديه قيم وأخلاق فلا مانع لديه أن يبيع كل شيء في سبيل شهواته وملذاته التي لا حدود لها فلا حضارة مع الانحلال
وقد فهم الغرب هذه المعادلة وعلموا أن الحرب مع الإسلام لا تكون في أغلب الأحيان حرباً بالمعارك الطاحنة إنما هي حرب
هوية وأخلاق فنحروا جسد الأمة بأفكار بالية ومبادئ منحرفة فزينوا لهم العلمانية والإلحاد وأدخلوا في عقولهم القومية والعصبية
القبلية بدع أن أبدلهم الله خيراً منها يقول لورد ماكولي: (لقد سافرت في الهند طويلاً وعرضاً ولم أرى شخصاً واحداً يتسول أو
يسرق، لقد وجدت هذا البلد ثرياً لدرجة كبيرة، ويتمتع أهله بقيم أخلاقية عالية، ودرجة عالية من الرقي، حتى أنني أرى أننا لن
نخزم هذه الأمة، إلا بكسر عمودها الفقري، وهو تراثها الروحي والثقافي. ولذا أقترح أن يأتي نظام تعليمي جديد ليحل محل
النظام القديم لأنه لو بدأ الهنود يعتقدون أن كل ما هو أجنبي وإنجليزي جيد وأحسن مما هو محلي، فإنهم يفقدون احترامهم
لأنفسهم وثقافتهم المحلية، وسيصبحون ما نريدهم أن يكونوا، أمة تم الهيمنة عليها تماماً)²⁶.
هذه العوامل تنبثق كلها في نهاية الأمر من الابتعاد أو الانحراف عن الإيمان بالله والتوحيد. ومما لا شك فيه أنّ القيم الأخلاقية
المعيارية هي وليدة عقيدة الإيمان بالله، وحيثما غاب الإيمان أو انحرف عن مسار التوحيد فإن النتيجة هي ظهور الفساد في البر
والبحر، الذي غير أنّ عوامل الإمكان الحضاري متوافرة للأمة للنهوض متى ما رجعت إلى عقيدتها.

الخاتمة

النتائج

وفي الختام وبعد أن استعرضنا أسباب سقوط الحضارات وانحيارها من منظور القرآن الكريم فقد توصل الباحث لعدد من النتائج
نجمها بالآتي:

- 1- هناك أسباب موضوعية وسنن إلهية لبناء الحضارة وسقوطها فمن أخذ بتلك السنن الإلهية استخلفه الله في الأرض
ومن تخلف عنها بقي على هامش التاريخ.
- 2- إن هذه السنن التي وضعها الله تعالى للاستخلاف لا تحايي أحداً وهي تجري على المسلم والكافر فإذا ترك المسلم تلك
الأسباب فالله تعالى يحرمه من التمكين في الأرض ولو أخذ الكافر بها فإنه يسود في الأرض.

²⁵ صلاح الخالدي: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم دمشق، ط1، 1419-1998، ج1 ص521.

²⁶ مقال في جريدة الوطن الالكترونية، هل فقدنا احترامنا لأنفسنا، بتاريخ 2010/11/07.

- 3- إذا استوى المسلم والكافر في المعصية فإن الله يملك الأقوى منهما فالكافر في هذا الوقت هو المتحكم في قرار المسلمين لعدم أخذ المسلمين بأسباب النصر.
- 4- إن عصبان الله عز وجل من قبل المسلمين هو الذي أوصل المسلمين لهذا الذل والهوان الذي هم عليه اليوم ولا يمكن أن يرفع عنهم هذا البلاء سوى بعودتهم للدين وتمسكهم بشريعة الله فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه وأولها.
- 5- إن الحضارة الأوروبية لا تصلح بكليتها كمثال يحتذى به للنهضة الإسلامية المرتقبة بل علينا أن نأخذ ما صفى من التقدم العلمي والتكنولوجي وندع ما كدر من الحريات الزائفة والانحلال الأخلاقي والخلاعة والإباحية المطلقة التي لا يمكن معها إقامة مجتمع مسلم متحضر فالنهضة التي نرجوها هي التي توصل المسلمين إلى سعادة الدنيا والآخرة.
- 6- لا بد أن نتحد حتى نستطيع مواجهة أعدائنا وننهض كوحدة واحدة لا يفرق بيننا شيء فالتنازع والتفرق يؤديان إلى الفشل وذهاب الريح.
- إن من أكثر الأمراض التي تفتك بالأمة هو الدعوات القومية والعرقية والقبلية والمناطقية فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى فلا يمكن أن نفاضل بين الناس باللون والعرق بل بالإيمان ولم يتقدم المسلمون حتى تركوا تلك الدعوة الجاهلية فكان بلال مؤذنهم وصهيب من كبارهم وسلمان المستشار المؤمن في حربهم وكان الموالي سادة العلم فيهم.

المصادر

1. القرآن الكريم.
2. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم وولده، مكتبة ابن تيمية، د. ط.
3. ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الفكر، 1405، د. ط.
4. ابن خلدون، المقدمة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د. ت، د. ط.
5. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت.
6. أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربي.
7. إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي أبو درة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1997.
8. آرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد شبل، لجنة التأليف القاهرة، 2011.
9. أسوالد اشبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
10. جمال بروال، الدورة الحضارية بين فكر مالك بن نبي وأزوالد اشبنغلر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة.
11. زكي ميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دار الفكر، ط1، 1998.
12. زياد عبد الكريم النجم، توينبي نظرية التحدي والاستجابة (الحضارة الإسلامية أمودجاً) زياد عبد الكريم النجم، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الأولى 2010.

13. شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر دمشق، ط2، 1417-1996.
14. صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، ط1، 1419-1998.
15. عماد بدوي، مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح فلسطين، ط2005.
16. الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
17. الماوردي، أدب الدنيا والدين، شرح كريم راجح، دار إقرأ، ط1، 1401-1981.
18. محمد هيثور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1417-1996.
19. يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1417-1996.

Acknowledgments

شكر وتقدير

يتوجه الباحثان بخالص الشكر وعظيم الامتنان لكل من أسهم في خدمة هذا المجال سواء بالبحث والتأليف أو التدريس والتوجيه.

Conflict Of Interests

تعارض المصالح

يعلن ويعترف الباحثان بعدم وجود تنافس في المصالح المالية أو الشخصية أو غيرها فيما تتعلق بكتابة هذا المقال.

Authors' Contributions

مساهمة الباحثين

صمم الأستاذ المشارك الدكتور علاء الدين إسماعيل هذه الدراسة وجمع بعض الدراسات السابقة لكتابة هذا المقال.